http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1529) السنة السادسة -الثلاثاء (9) أيار 2009

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

قراءة في الشخصية العراقية

عنف التاريخ.. عنف المتحف

كثيرا ما احيطت الشخصية العراقية بالغموض والتعتيم وتحولت الى مصدر للعديد من الاجتهادات والاشاعات، وكثيرا ما تحولت ايضا الى مادة سردية باعثة للمتخيلات الثقافية. بل وضعها البعض في سياق ايهامي للجماعات المتخيلة ورواسبها التي تمتاز بخصوصية علاماتية، جعلتها نموذج للشخصية المضطربة العدوانية، الطيبة، القلقة المثيرة في التوصيف الاجتماعي. هذه الاحاطة القصدية نأت في الكثير من استقراءاتها عن اعتماد مقاربات تاريخية وعلمية وتوجهات اناسية تضع هذه الشخصية في سياقها الانساني الباعث والمولد والمستجيب، وفي اطار ماتعرضت له هذه الشخصية من كوابت وكوابح وضغوط ومهيمنات وانماط من المعيش، والتي اسهمت جميعها الى حدّ كبير في صياغة العديد من ملامحها وتشكلاتها واستجاباتها، ونظام وجودها وهويتها وسلوكها وتعدد مسيوتات معيشتها. ازمة الحديث عن الشخصية العراقية يرتبط اساسا بازمة ادراك طبيعة هذه الشخصية في المكان والزمان

علي حسن الفواز

لقد شهدت الكثير من مراحل التاريخ القديم والجديد نماذج من هذا العنف الاقصائي، بدءا من نشوء المرحلة الزراعية التي حددت اول ملامح السيطرة الذكورية المرتبطة بعوامل القوة والهيمنة والامتلاك والسيطرة على مصادر الثروة والقوة، ونشوء الدول الغازية التي سحقت الكثير من الحضارات والشعوب والدول والمدن والثقافات والهويات، واخرها نماذج(الاستعمارات) الغربية التي بدأت مع بدايات نشوء اوروبا السياسية ومطامحها في السيطرة على رؤوس اموال وعمالات رخصية في الشرق وفي افريقيا وفي البيئة اللاتينية، والذي اسهم بشكل او باخر صناعة انماط من الصراع الدموي مع شعوب هذه المناطق، مثلما اسهم ايضا في صناعة اشكال اخرى للحكم والسيطرة وبمرجعيات متعددة لادارة هذه الشعوب ودولها، وانتهاء بانماط الديكتاتوريات المعاصرة التي جاءت بعد مرحلة(الاستعمار) وبمزاج (كارزمي) ذي مخيالات شعبية للسيطرة على الحكم وادارة الثروات الضخمة، فضلا عن ان هذه الديكتاتوريات العسكرية والايديولوجية والقبائلية عمدت الى (أنسنة) العنف تحت عناوين براقة استعارت من المقدس والمزاج الوطني الكثيرمن شعاراتها العمومية (الدفاع عن الوطن/الهوية/الدين/العرض/الاخلاق) ضد الغازي الكافر المستعمر، مثلما تم تحويل هذا العنف الى ثقافة ايهامية متعالية كرسته كشكل ووظيفة وموقف واحيانا كايديولوجيا، تجسد عبر الكثير من الحروب العبثية، ومواجهة التداعيات الاجتماعية الرافضة لوظيفة العنف، والتي اخضعتها الديكتاتوريات الى توصيفات اخرى (الخيانة، معاداة المصالح الوطنية العيا، الارتباط بالاجنبي وغيرها) والتي تفرض على المتورطين فيها الخضوع الى احكام جائرة جنائية ومعنوية مثل السجن والاغتيال والقهر النفسي والحرمان الرمزي من الحرية والخصوصية والخصوبة والنفي القهري.. هذا العنف والعنف المقابل عمد الى اقصاء كل الافكار الانسانية التي ترفض السيطرة والقوة الغاشمة، خاصة تلك الافكار التي ارتبطت بالايديولوجيات (اليسار السياسي الايديولوجي، والتيارات الدينية الشيعية التي رفضت القهر الوطني والطائفي) والتي استدعت بالمقابل أيضا أنتاج إشكال سرية وظاهرة للعديد من المواجهات عسكرية وحروب عصابات ونوع من السلوك الرمزي الذي اتبعه الصعاليك والشطار والعيارين، فضلا عن انتاج انماط اخرى من الثقافات الباطنية السرية التي اتبعت التقية والتراسل السري بين الوكلاء والأتباع والمريدين في صناعة ثقافة نوع اخر، تلك التي تعتمد العنف المضاد، العنف النفسي والتأويلي.

تاريخ هذا العنف السلطوي/ السياسي/ الاجتماعي وتراكماته وضغوطه القهرية، واثر الكثير من العوامل الخارجية خلق له امتدادات نفسية داخل الشخصية وداخل المجتمع، لان السلطة، اية سلطة كانت سياسية او ابوية او دينية تكرس نمطها عبر تأمين مصادر القوة والثروة والعنف، فضلا عن تحديد اشكال معقدة لقيود الانتماء والمصالح والتبعية وطبيعة نظام العمل وتأمين مصادر العيش والتربية، وهذا بطبيعة الحال يحدد العلاقة بين السلطوي والاخر وفق سياق يخصي الخصوصيات، ولايؤمن بالخروج عنها، يفرض شكلا من التماهي القسري.

ولاشك ان تراكم رهاب هذه العلاقة اسهم في تشكيل علاقات اجتماعية/ ثقافية فقهية (ذات مرجعيات معروفة) تقوم على التطرف في القراءات النقلية وفي التقليد والتبعية، تلك التي خلقت لها رموزا وشفرات وسياقات وايهامات اكتسبت نوعا معقدا من (الثقافة) الإطارية التي تبرر اي سلوك واي موقف واي عنف، لانه سيخضع لتوصيف الايدولوجيا الدفاعية التي حددها شكل العلاقة المعقدة والغامضة بين التابع والمتبوع او الحاكم والمحكوم او بين الصاحب والمريد.

خطورة العنف داخل هذه الانماط الثقافية، تحوّل الى ظاهرة قهرية ضاغطة وموجهة انعكست على انتاج ظاهرة الدولة وظاهرة المجتمع، اذ ان الدولة الشرقية خاصة شرقنا العربي والاسلامي ومنها الدولة العراقية، ظلت قرينة عنف متواصل، لان اصل هذه الدولة ومنذ اكثر من الف سنة كان يقوم على فكرة عصاب النوع، وعصاب فكرة الرعوية، وعصاب فكرة القوة والسيطرة، لاتؤمن بالتعدد والاختلاف والحوار الاجتماعي والثقافي، لاتؤمن بالحريات وانتاج الافكار وتداولها خارج سياقها، وهذه العصابات هي اشكال عنف الدولة الذي خلق له مريدين ومهرجين ووعاظ ونصوص اكتسبت فيما بعد شكل المقدس وحتى التابو الاجتماعي. كما ان المجتمع بغياب الدولة العادلة تحوّل الى مجتمع طبقي ومجتمع سياسي وطائفي تتشرعن فيه مفاهيم القوة والعنف الاجتماعي والاقتصادي والسلوكي والثقافي بين القوى المتخاصمة، وانا اعتقد ان تاريخ العنف في الحياة العراقية هو في الاصل نتاج لعنف هذه الدولة التي لاشكل واضح لها، بدءا من دولة المناذرة ودولة الحروب خلال الفتوحات الاسلامية وصولا الى دولة الامويين ودولة العباسيين وحروب هولاكو وجنكيزخان وتيمور لنك والسلاجقة والبويهيين والصفويين ودول الخروف الاسود والخروف الابيض والعثمانيين وانتهاء بنمط الدولة الانقلابية الاكثر رعبا الذي بدأ منذ عام ١٩٦٣ الى ٢٠٠٣. لان هذا العنف اسهم في صناعة سياقات اجتماعية ووظائف وتوصيفات رمزية مثل وظائف العسس والبصاصين والسيافين واصحاب الحسبة ورجال الامن والمخابرات والقناصين.

ان صناعة العنف في المكان العراقي، هي صناعة موجهة، ذي مرجعيات اشكالية، اسهمت في انتاجها عوامل السلطة القهرية، التي احكمت هذا المكان بانماط محددة من المعيش، والوجود، والعلاقة المأزومة بين الحاكم والمحكوم، او بين (السلطة والرعية) اذ كان رعب هذه العلاقة هو المولد لثقافة العنف والكراهية، فضلا عن ان شيوع الفقر والجهل والتخلف وهما جزء من مخلفات السلطة القهرية، اسهم هو الاخر في صناعة الشخصية المطلبية، الشخصية التي تبحث عن مصادر معيشها ووجودها، مثلما اسهمت في الشخصية الخانعة المستلبة الخاضعة لوجهات السلطة، وحتى شخصية(الشقاوة) في البيئة الشعبية العراقية هي في جوهرها صناعة دفاعية عن المكان والوجود لجأ اليها المخيال الشعبي للدفاع عن مكانه وهويته، والتي كثيرا ما وظفتها الايديولوجيات لصالح خطابها السياسي المقاوم، مثلما استخدمتها الديكتاتوريات لاغراض معينة واخر هذه المظاهر هوما عمد النظام المباد لاستخدام عدد محدود من(الشقاة) لغرض قتل المعارضين السياسيين، ولعل ما قام به هذا النظام بعد ذلك لتصفية كل هؤلاءالشقاوات دليل على احساسه بخطورتهم على ثقافة مهيمناته على المكان العراقي..

التوصيف العلمي الانثربولوجي يضع الشخصية العراقية خارج سياق توليد هذا العنف، لان هذه الشخصية تنتمي الى المناطق السهلية المعتدلة، وهذه الشخصية لايمكن ان تميل الى الطابع السلوكي العنفي، ولعل هذا التوصيف جعل البيئة العراقية اكثر حيازة على شخصنة الخصائص الثقافية كالشعراء والحكماء والعلماء والمتصوفة، وابعد عن الغلظة والسلوك الوحشي وان العنف في هذه البيئة هو دائما عنف من بيئات خارجية، مهاجرة، ولعل اية مراجعة للطغاة الذين مارسوا العنف في البيئة العراقية او الذين خلقوا سياقات ووظائف له نكتشف انهم غير عراقيين في الاصل، وليس لهم علاقة حقيقية بالمكان العراقي ومولداته الانسانية والاخلاقية والثقافية، فضلا عن خصوصيةالمدينة العراقية عبر(نواتاتها) الصغيرة في المجمعات السكانية والشوارع الضيقة والتي تتسم عادة بالحميمية والشراكة، ونبذ العنف والمنافي والحروب وكل الصراعات الدامية التي شهدها تاريخنا المعاصر يرتبط بهذه الدولة/السلطة. ومن هنا نجد ان الحاجة الى تفكيك مفهوم هذه الدولة/السلطة هو الاساس الذي ينبغي فحصه والوقوف عن سياق ازماته وازمة صلاحياته واستحواذه العام على القوة والعنف، والعمل على تكريس الوعي الدستوري بصناعة الدولة، الدولة المؤسساتية، القانونية، الحاضنة والحامية للجميع، ناهيك عن اجتراح سياقات مضادة تعمد الى صناعة الوعي والرأي العام تبدأ من أعادة صياغة نظم التعليم الاولي والثانوي ومن الدرس الثقافي الاول ولاتنهي عند انتاج الكتاب والمعرفة التخصصية الاكاديمية والعلمية، لان تاريخ الازمة هو تاريخ طاعن في الجسد العراقي وبحاجة الى تطهير عميق، تطهير يرمم الخرابات ويؤنسن الوعي بالجمال والطبيعة والمدينة، ويعيد التوازن للشخصية العراقية في تعددها وتلونها، واحسب ان موت الدولة القديمة هو موت المركز الذي انتج المحنة وانتج القاموس القديم، وجعلنا عاطلين عند المقبرة والسجن والمتحف والمنفى..

النزاهة وطهارة اليد من نوري السعيد وعبد الكريم قاسم الى وزراء آخر زمان

عبد الجبار منديل

عندما كنا طلابا في الثانوية في الخمسينيات ابان الحكم الملكي كانت التهمة الوحيدة التي كنا ندين بها نوري السعيد باعتباره القطب الأوحد في النظام الملكي هي انه عميل انكليزي وانه معتمد الأمبرطورية البريطانية في الشرق الأوسط (الأن بعض الحكام العرب في الخليج وفي غير الخليج يتباهون بميولهم الأنكليزية) ولكن لا اتذكر ان كائنا من كان اتهمه بالسرقة او الفساد. ولم يكن هو في الحقيقة كذلك لذلك لم يكن ذلك الموضوع مدار حديث مطلقا.

في نهاية الأربعينيات انتقل نوري السعيد من بيته القديم قرب مزرعة الخس الكائن في مكان غير بعيد عن اكاديمية الفنون الجميلة الحالية، بسبب انه مل من الزيارات الليلية للسكارى والمتشردين لتلك المزرعة وما يحدثونه من ضجيج في اخر الليل. كان منزله الجديد في كرادة مريم قرب فندق ميليا المنصور حاليا. وقد اتهمته المعارضة في حينه بانه استفاد من اموال الدولة في بناء البيت من دون ان تكون لديهم وثائق عن ذلك. ولكن صديقه المليونير اللبناني اميل البستاني صرح بانه ساعده في اكمال البيت بعد ان وجده في حالة عسر شديد. وبعد ان قتل صبيحة ١٥ تموز اي بعد يوم واحد من ثورة ١٤ تموز لم يكتشفوا انه يملك اية ثروة خاصة.

اما عبد الكريم قاسم فموضوع النزاهة وطهارة اليد لديه اشبه بالخرافة. قائد ثورة ورئيس وزراء العراق، الدولة النفطية الغنية (انذاك) يعيش في مشتمل صغير استأجره من الأوقاف في الكرادة الشرقية بجوار بيت اخته (وكأنه موظف بسيط). يمضي النهار في الإجتماعات والجولات وبعد منتصف النهار يأتيه الغداء من بيت اخته في (سفر طاس) والسفرطاس كما هو معروف لدى العراقيين هو عبارة عن ثلاث صحاف من الفافون (القصدير) فوق بعضها ينقل فيه الطعام الى اصحاب المهن في محالهم عند تعذر زيارتهم لأهلهم لتناول الغداء ويحتوي وجبة عراقية تقليدية من الرز والمرق والسلطة. واحيانا يقوم الطباخ العريف جاسم الذي رافقه منذ ان كان امر فوج في المنصورية بطبخ بعض الوجبات في مقره في وزارة الدفاع.

عندما حدث انقلاب ٨ شباط كان البعثيون يمنون النفس بفضيحة مالية كبرى لعبد الكريم قاسم تخفض من شعبيته، لذلك ذهبوا الى مصرف الرافدين لنبش الدفاتر والحسابات بحثا عن (ثروة) عبد الكريم ولكنهم لم يجدوا سوى (٢٤١) فلسا هي بقية من راتبه لذلك الشهر.

هؤلاء هم كانوا حكام العراق، هل يمكن مقارنتهم مع دهاقنة المال وحيتان الفساد والمافيا من وزراء اخر زمان ولصوص المال العام وسارقي قوت الشعب.

دور الإعلام في محاربة الفساد

مهدي زاير جاسم

لا يمكن الحديث عن محاربة الفساد من دون وجود صحافة حرة،حيث إن تمتع وسائل الإعلام بحرية التعبير يمكنها من المشاركة بفاعلية في عملية المحاسبة والمساءلة وتمثيل مصالح المواطنين والدفاع عنها، إضافة إلى فضح حالات الفساد التي تهدد مصير أبناء المجتمع ومستقبل التنمية في بلدانهم.

وما زال سؤال ملكية وسائل الإعلام في العالم مفتوحاً دون إجابة نهائية، ففي أغلب هذه البلدان تفرض الدولة احتكاراً كاملاً على الوسائل المسموعة والمرئية، بينما يبدو الأمر أقل تقييداً بالنسبة للصحافة المكتوبة،ولكن هذه السلطة إذا لم تكن تملك الصحف أو وسائل الإعلام الأخرى عملياً فهي تملكها لأشخاص أو جهات مقربة منها، وفي حال ظهور وسيلة إعلامية خاصة تحاول توسيع هامش استقلاليتها فهي تلاقي أنواعاً مختلفة من التضييق الحكومي،علماً أنه تم تسجيل ظهور واختفاء صحف كثيرة من هذا النوع خلال السنوات الأخيرة.

وفي كثير من البلدان العربية تعمل الدولة على احتكار الإعلام والحد من حرية الصحافة ودورها في غرس قيم الثقافة المدنية وتطورها للمساهمة في تكوين رأي عام مقاوم للفساد.والصحافة تُعَدُّ من المفردات المهمة في عملية المراقبة،حيث يمكن لبعض وسائل الإعلام أن تصبح من الآليات المهمة للمشاركة الشعبية والنزاهة والمساءلة وتمثيل مصالح الناس، كما يمكنها جمع المعلومات ورصد الانتهاكات المتعلقة بالفساد في قضايا بعينها.

ولا يمكن تصور الوصول إلى إعلام حر من دون دعم من قوى المجتمع المدني، لذا ينبغي تحفيز هذه القوى على خوض معركة الإعلام لما فيه من خير لصالح الجميع، فالمجتمع المدني القائم على أسس ديمقراطية نزيهة وفاعلة لتطوير المجتمع هو الحليف الأول للإعلام الحر،وهو الذي يجب أن يزرع الجرأة عند الصحفيين للمواجهة، وأن يقوم بدور الدفاع عن هؤلاء الذين يتعرضون للقمع، وأن يتبنى حملات لتغيير القوانين المقيدة للحريات الصحافية،وهو أقدر،بحكم مصلحته واتساعه،على توظيف وسائل الإعلام في معركة مواجهة الفساد.

وعندما نتحدث عن الإعلام ودوره في مواجهة الفساد، يستلزم الأمر منا التطرق إلى الإعلام البديل أو المتعارف عليه «بشبكة الانترنت» حيث إنه بفضل هذه الوسيلة الإعلامية أصبحت قوى فقيرة مالياً،ولكنها فاعلة اجتماعياً وناشطة في الشأن العام،أن تصل إلى مئات الآلاف،وقد يزيد، من القراء وطرح مواقفها بسهولة ويسر.

لذلك علينا القيام بعملية مراجعة شاملة للقوانين المختلفة المتعلقة بتقييد الحريات، وإلغاء قوانين المطبوعات المقيدة للحريات، وتبني حملات وطنية لإقرار قانون حرية الوصول إلى المعلومات، والقيام بحملات توعية للمجتمع المدني بضرورة حرية الصحافة، وبالتالي خوض معركتها، لكونهما يمثلان حلفاً واحداً، و حث القطاع الخاص على إصدار الصحف لكونها خط دفاع مهماً ضد الفساد الذي يشوِّه العملية الاقتصادية ويوجهها نحو الاحتكار، والربح غير المشروع

في كثير من الأحيان، الحث على تأسيس نقابات وتجمعات تدافع عن الصحفيين وتقوم بالتعاون المشترك بين النقابات العربية والأجنبية في هذا الأمر.ونعتقد أن إعطاء دور اكبر للإعلام في محاربة الفساد من خلال الترويج للصحافة الاستقصائية بوصفها الأهم في فضح قضايا الفساد في المجتمع. والعمل على إقناع المؤسسات الصحافية بتخصيص صفحات لمتابعة قضايا الفساد،وحث مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص على دعم صحف متخصصة في محاربة الفساد. تخصيص جوائز سنوية لأحسن موضوعات عن محاربة الفساد، أو لأشخاص يحاربون الفساد، ويتفرغون لمواجهة هذا الوباء الذي يفكك المجتمع ويسبب نتائج مريعة لكافة مجالاته وقطاعاته، و عقد دورات لتدريب الصحافيين على الصحافة الاستقصائية المتخصصة وسبل كشف قضايا الفساد.

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.

٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.

٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com